الفصل الأول

تعريف وتطور الحرب الغير تقليدية

أولا ـ تعريف الحرب غير التقليدية :

تعرف الحرب غير التقليدية بأنها صراع بين طرفين أو أكثر تستخدم خلالها جميع الأطراف أو أحدهم الأسلحة المسماة بأسلحة التدمير الشامل ، وهى أسلحة ذات قوة تدميرية عالية الأمر الذى يمكن أن يترتب عليه تغييرات حادة فى المواقف التكتيكية والقتالية للأطراف المتصارعة . وتنقسم أسلحة التدمير الشامل من حيث التجانس التركيبى الى ثلاثة أقسام رئيسية هى :

١ ـ الأسلحة الذرية والهيدروجينية بأنواعها التى تشمل الأسلحة ذات الطابع الانفجارى أو المواد المشعة المسماة بالأسلحة ذات الطابع غير الانفجارى .

٢ ـ الأسلحة الكيماوية بأنواعها المختلفة والتى تحتوى على الغازات الحربية ذات التأثيرات المختلفة والمواد الحارقة ومواد الدخان .

٣ ـ الأسلحة البيولوجية وتتمثل فى الجراثيم والفيروسات والفطريات وكلها أدوات وأسلحة تسبب أمراض معدية وفتاكة سريعة الانتشار فى وسط المستخدم ضدها هذه الأسلحة .

وأيضا يمكن أن نقسم أسلحة التدمير الشامل من حيث القدرة التدميرية الى خمسة أقسام رئيسية هى :

١ ـ أسلحة ذات قدرة تدميرية عالية وسريعة وتشمل الأسلحة الذرية والهيدروجينية وبعض أنواع الغازات الحربية .

٢ ــ أسلحة ذات قدرة تدميرية متوسطة وبطيئة نسبيا وتشمل بعض أنواع الغازات الحربية •

٣ ــ أسلحة ذات قدرة تدميرية منخفضة وبطيئة وتشمل الأسلحة البيولوجية والمواد الحارقة •

٤ ــ أسلحة ذات قدرة ازعاجية وتشمل بعض أنواع الغازات الحربية مثل الغازات المسيلة للدموع والغازات المقيئة •

٥ ــ أسلحة ذات قدرة تستر وتعمية وتشمل مواد الدخان •

* * *

ثانيا ــ التطور التاريخى لأسلحة التدمير الشامل :

١ ــ الأسلحة الذرية والهيدروجينية :

(أ) حتى بداية القرن العشرين كان الاعتقاد السائد بين العلماء فى جميع أنحاء المعمورة أن المادة لا يمكن أن تستحدث أو تفنى ، وأن هذا الاعتقاد البديهى والعلمى ينطبق أيضا على الطاقة ، الى أن جاء العالم الألمانى البرت أينشتاين صاحب نظرية النسبية والذى نادى بنظرية علمية جديدة تتناقض تماما مع الاعتقاد السابق ويتلخص جوهرها فى أنه من الممكن تحويل المادة الى طاقة والطاقة الى مادة تحت ظروف تفاعلية خاصة • ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية فى الأربعينات من هذا القرن بدأ التفكير الجدى فى الاستفادة من نظرية أينشتاين للحصول على قنابل ذات طاقة عالية ينتج عن استخدامها حجم تدمير أكبر بكثير من التدمير الناتج عن استخدام القنابل التقليدية التى تعتمد فى انفجارها على مادة « تى • ان • تى • » ، وقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية هى الدولة السباقة فى انتاج هذه القنبلة فى أواسط الأربعينات أى مع قرب انتهاء الحرب العالمية الثانية •

(ب) قامت الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام السلاح الذرى ضد اليابان فى نهاية الحرب العالمية الثانية ردا على الهجوم الجوى

اليابانى ضد الأسطول الأمريكى الرابض فى ميناء بيرل هاربر وحيث تم ضرب مدينة هيروشيما أولا ثم مدينة نجازاكى ثانيا بقنابل تعادل قوة القنبلة الواحدة حوالى ٢٠ ألف طن من مادة الـ « تى•ان•تى• » شديدة الانفجار وقد استخدمت الطائرات فى القاء القنابل •

(جـ) ومع التطور العلمى والثورة التكنولوجية السريعة التى بدأت فى النصف الثانى من القرن العشرين أمكن انتاج وتطوير القنابل الذرية ووسائل الاطلاق المستخدمة لذلك ووصلت قوة أحد القنابل التى تم تفجيرها لأغراض الاختبار الى ٥٠ مليون طن من مادة « تى • ان • تى • » اضافة الى وسائل الاطلاق الجديدة المتمثلة فى الصواريخ والغواصات والمدفعيات •••• الخ •

٢ ـ الأسلحة الكيماوية :

تعتبر الأسلحة الكيماوية من الأسلحة القديمة التى استخدمها الانسان خلال القرن الماضى بصورة قريبة بعض الشىء من الصورة المستخدمة حاليا فى نهاية القرن العشرين على الرغم من أن هناك استخدامات أخرى قديمة للغاية قد يصل عمرها الى ما قبل الميلاد يتشابه الغرض منها مع أهداف الاستخدام فى عصرنا الحالى ، ويمكن تناول التطور التاريخى للأسلحة الكيماوية من خلال الآتى بعد :

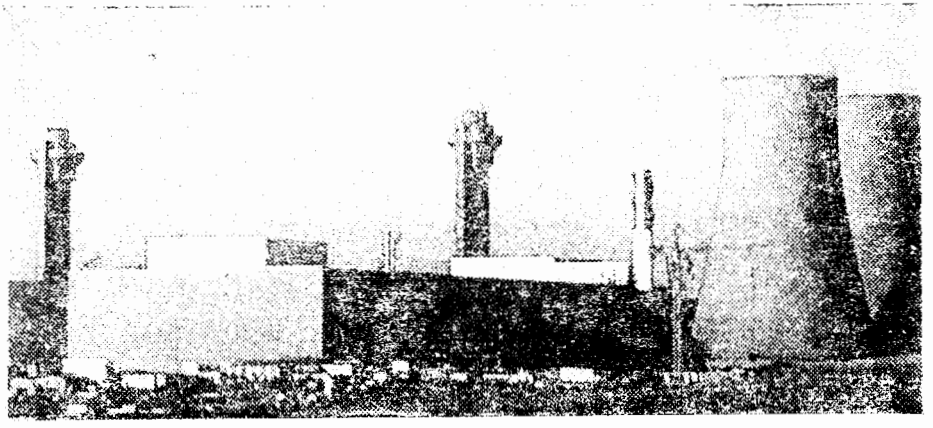

شكل رقم (١) المفاعل النووى المخصص لانتاج القنبلة النووية

(أ) فى أواخر القرن التاسع عشر وخلال الحرب المعروفة باسم حرب البوير قامت القوات الانجليزية باستخدام قنابل مدفعية تحتوى على « حمض البكريك » الذى ينتج عنه غاز متفجر اسمه « ليدايت » وكان ذلك ردا على قيام العدو بتسميم مياه الشرب بمادة «سيانور البوتاس» •

(ب) وفى عام ١٩١٤ ومع بداية الحرب العالمية الأولى كان لفرنسا مبادرة السبق فى استخدام الغازات المسيلة للدموع بواسطة بنادق المشاة • وفى شهر أكتوبر من نفس العام استخدم الألمان المادة الكيماوية « داناسيدن كلور سيلفونات » ضد الانجليز فى شمال فرنسا بواسطة أسطوانات تم فتحها وحيث قامت الرياح بحمل سحابة الغاز الى العدو • ثم عاود الألمان تكرار العملية ضد الروس فى عام ١٩١٥ باستخدام مركب كيماوى جديد اسمه « اكسليل بروميد » • وفى شهر ابريل من نفس العام استخدم الألمان للمرة الثالثة غاز « الكلورين » ضد القوات الفرنسية فى بلجيكا الأمر الذى أدى الى حدوث خسائر فادحة بالجيش الفرنسى الذى بوغت تماما ، وتمكن الألمان من الوصول الى القناة الانجليزية • وكان للاستخدام الألمانى للغاز وللمرة الثالثة الفضل فى ايضاح الدور الهام الذى يمكن أن يلعبه السلاح الكيماوى خلال معارك القتال الأمر الذى عاود معه الألمان استخدام غاز « الكلورين » ضد القوات الكندية أيضا بعد ذلك •

(جـ) وفى نهاية عام ١٩١٥ تمكن كلا من الانجليز والألمان من تطوير وسائل اطلاق الغاز وحيث تم استخدام القنابل فى ذلك • وتبادل الطرفان استخدام غاز « الكلورين » الى أن تمكن الألمان من اكتشاف غاز «الفوسجين» الخانق وحيث قاموا باستخدامه فى شهر ديسمبر من نفس العام • ثم عاود الألمان استخدام غاز جديد ومقيىء اسمه « فنيل كلورارسين » ضد الانجليز للتغلب على القناع الواقى الذى يخترقه هذا الغاز الأمر الذى اضطر معه الجنود الانجليز الى خلع القناع الواقى وحيث قام الألمان فى نفس التوقيت باستخدام غاز « الفوسجين »

الذى لا يخترق القنـاع وقد أحدث الألمـان خسائر جسيمة فى القوات الانجليزية خلال هذه الفترة من الحرب العالمية الأولى .

(د) طور الانجليز بعـد ذلك وسائل اطلاق الغاز وتمكنوا من استخدام غاز « الفوسجين » بواسطة قنابل المدفعية ضد الألمان فى مارس من عام ١٩١٧ . وقـد رد الألمـان على ذلك فى يوليو من نفس العام باستخدام غاز له رائحة « الخردل » ذات تأثير خانق مركب من « كبريت ثانى كلور ثانى ايثيل » .

(هـ) وعلى الرغم من الخسـائر الغير متوقعة من جراء اسـتخدام الغاز فى الحرب العالميـة الأولى والتى بلغت نحو ٣/٤ مليون اصابة تقريبا فان هنـاك بعض الدول التى رفضت التوقيع على الاتفاقية التى تحرم اسـتخدام الغازات والصـادرة عن المؤتمر المنعقد فى جنيف عام ١٩٢٥ وحيث استخدم الايطاليون « غاز الخردل » فى يناير عام ١٩٣٦ ضـد القوات المسلحة الأثيوبية . وقـد استمرت الأبحاث العلمية فى العديد من الدول لاكتشـاف المزيد من الغازات السـامة وحيث تم خلال الفترة من عام ١٩٣٦ وحتى عام ١٩٤٤ اكتشاف ثلاثة أنواع من غازات الأعصاب وهى « التابون » و « الزارين » و « الزومان » وهى غازات تفوق فى تأثيرها الغازات السابق اكتشافها بكثير .

(و) وتعتبر الحرب العالمية الثانيـة من الحروب النظيفة التى لم يستخدم خلالها الغازات الحربية رغم طول فترة الحرب التى امتـدت الى نحو خمس سـنوات ورغم الحادث الوحيد الذى وقع بصورة غير مقصودة عندما قصفت الطائرات الألمـانية فى ديسمبر عام ١٩٤٣ سفينة شحن أمريكية محملة بالعديد من قنابل «غاز الخردل» الأمر الذى نتج عنه خسـائر فادحة فى طاقم السفينة . وقد نجح الألمـان المتفوقين فى هذا المجال فى اعداد كميـات كبيرة من الغـازات الحربية فى نهاية الحرب العالمية الثانية . وقد أدت الخلافات الموجودة داخل القيـادة العسكرية الألمـانية الى عـدم استخدام هذا المخزون الهائل من الغازات خصوصا

مع الخسائر الكبيرة التى كانت قد تعرضت لها وسائل الاطلاق الألمانية .

شكل رقم (٢) تأثير الغازات الحربية على الأفراد

(هـ) ومع هزيمة قوات المحور بقيادة ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية ودخول قوات الحلفاء الى برلين قامت هذه القوات ـ خصوصا الأمريكية والروسية ـ بفك مصانع الغازات الألمانية وتم نقلها الى الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية وحيث تم الاستمرار فى الأبحاث العلمية لانتاج المزيد من الغازات والاحتفاظ بمخزون منها لاستخدامه فى أى حرب قادمة . كما تسببت الحرب الباردة التى استمرت بين المعسكرين الغربى والشرقى نحو أربعين سنة فى استمرار زيادة الانفاق العسكرى لتطوير قواتهما المسلحة بصفة عامة وأسلحة التدمير الشامل بصفة خاصة ومنها الأسلحة الكيماوية بالطبع . وقد وصل المخزون الأمريكى من السلاح الكيماوى حتى نهاية القرن العشرين الى درجة امتلاك غازات حربية سامة تكفى لتدمير الكرة الأرضية كلها ثلاثين مرة ، كما إن الاتحاد السوفييتى يتفوق على الدول الغربية فى هذا المجال بنسبة تصل الى ١/٧

(و) ومع نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة ومحاولة كلا من المعسكرين الغربى والشرقى استقطاب أكبر عدد ممكن من دول العالم النامى اليه تسربت الأبحاث العلمية عن قصد الى العديد من هذه الدول الأمر الذى ساعد على امتلاك هذه الدول للسلاح الكيماوى وكانت التكاليف الزهيدة وسهولة التصنيع لهذا السلاح من أهم العوامل التى ساعدت الكثير من الدول النامية على امتلاك هذا السلاح ، اضافة الى الخسائر الجسيمة التى نتجت عن استخدامه فى الحرب الأمريكية الفيتنامية على الرغم من عدم نجاح الولايات المتحدة الأمريكية وهى الطرف المستخدم فى حسم الحرب لصالحها • وقد عبر يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة فى عام ١٩٦٩ عن مخاوفه تجاه هذا السلاح فى مقدمة لكتاب يتناول هذا الموضوع أعد بواسطة خبراء الأمم المتحدة وحيث يقول : « كل الدول تقريبا بما فيها الدول النامية والبلاد الصغيرة بامكانها الحصول على الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والجرثومية لسهولة تحضير بعضها بمصاريف زهيدة وسرعة فائقة فى مختبرات أو معامل بسيطة • وهذه الحقيقة تجعل مسألة السيطرة على هذه الأسلحة ومراقبتها شديدة الصعوبة » •

ومع التهديد من قبل الدول النامية باستخدام هذا السلاح ــ مثلما حدث فى خلال الحرب العراقية الايرانية ــ أطلق على هذا السلاح الكيماوى لقب القنبلة الذرية للفقراء •

٣ ــ الأسلحة البيولوجية :

تعتبر الأسلحة البيولوجية من أقدم الأسلحة التدميرية التى استخدمها الانسان فى صراعه وقتاله ، ويمكننا القول ان هذا السلاح استخدم باستمرار بجانب السلاح التقليدى منذ قديم الأزل • وقد اكتسب هذا السلاح قدرته التدميرية فى العصور القديمة عندما كان التقدم الطبى غير قادر على ملاحقة التطورات والأفكار العديدة التى سخرت هذا السلاح من أجل الحرب • ويمكن استعراض التطور التاريخى لهذا السلاح من خلال الآتى بعد :

(أ) كان أول استخدام لهذا السلاح على يد القائد اليونانى سولون وذلك عام ٦٠٠ق.م عندما استخدم جذور نبات « الهيليبوروس » فى تلويث النهر الذى يستخدمه أعدائه للشرب ، الأمر الذى نتج عنه اصابة جنود أعدائه عند تسرب المياه بحالة اسهال حاد ومغص شديد أثر على كفاءتهم القتالية وبالتالى أدى الى سهولة الحاق الهزيمة بهم .

(ب) وفى خلال الحروب التى تمت بين الأوروبيين والدول الاسلامية وأطلق عليها « الحرب الصليبية » قام الصليبيون باستخدام السلاح البيولوجى ضد المسلمين عن طريق القاء جثث الموتى بالأمراض المعدية داخل المعسكرات الاسلامية فى محاولة لنشر الأمراض الفتاكة بين المسلمين مثل الطاعون والجدرى والكوليرا .

(جـ) وعند قيام الرجل الأوروبى باكتشاف وغزو أمريكا نجح فى التخلص من أعداد كبيرة من الهنود الحمر الذين كانوا يعيشون هناك عن طريق نشر الأمراض الغير معروفة هناك والتى يفتقد السكان المناعة الطبيعية ضدها ، وقد لعب مرض الجدرى بصفة خاصة دورا رئيسيا فى القضاء على الأغلبية الهندية الموجودة هناك حتى أصبحت الغالبية السكانية فى القارة الأمريكية للرجل الأوروبى الذى نجح فى فرض سيطرته على أمريكا بعد ذلك .

(د) وفى خلال الحرب الأهلية الأمريكية استخدم كلا من جونستون وشرمن قادة القوات المتحاربة الأسلحة البيولوجية ضد بعضهما فى عام ١٨٦٣ وكان ذلك يتم عن طريق تلويث الأنهار والبحيرات بجثث الحيوانات الميتة بأمراض معدية وفتاكة ، وهو الأمر الذى كبد الطرفان المتحاربان خسائر كبيرة ولفت نظر العسكريين بعد ذلك الى أهمية هذا السلاح خصوصا وأن المعارك التى تمت بعد ذلك لعبت فيها الأمراض المعدية دورا كبيرا فى انزال الخسائر الفادحة بالجنود ، وبالتالى كان لها تأثير كبير على الصورة النهائية للمعركة .

(هـ) وبعد الحرب العالمية الأولى وخلال الفترة بين عام ١٩٣٦ وحتى

عام ١٩٤٦ بـدأت الدول الأوروبية والولايات المتحـدة الأمريكيه فى انشـاء المراكز والمعامل اللازمة لتحضير الجراثيم والفيروسات الخاصـة بالأسـلحة البيولوجيـة وعلى نطاق واسع ، وفى نفس الوقت انتاج اللقاحات والأمصال ووسـائل الوقاية الطبية المضادة لها . ورغم تخوف قوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية من قيام ألمـانيا باسـتخدام هذا السلاح ضدهم الا أنه اتضح بعد ذلك أن التقدم والتفوق الألمـانى كان قاصرا على الأسلحة الكيماوية دون الأسلحة البيولوجية وأن الطرف اليابانى هو الذى كان مهتما أكثر من غيره بانتاج وتطوير هذا السـلاح خصوصا فى معامل الأبحاث العلمية التى كانت موجودة فى «هربن» قرب منشوريا والتى اسـتولى عليها الروس بعـد ذلك ونقلوها الى الاتحاد السوفييتى .

(و) وفى خلال الحرب الكورية اسـتخدم الأمريكيون السـلاح البيولوجى عن طريق حقن الحيوانات الصغيرة مثـل الفئران والأرانب بجراثيم وفيروسات الأمراض الفتاكة مثل الكوليرا والطـاعون والجمرة الخبيثة والحمى الصفراء .... الخ ، وما زالت الأبحاث العلمية فى كثير من دول العالم تهدف الى الوصول للمزيد من هـذه الأسـلحة وحيث تملك العـديد من دول العالم مخزون منها بما فى ذلك دول العـالم النـامى .

* * *